شعرية التفاصيل بين الفن التشكيلي و السردي
قراءة في رواية"حائط المبكى"لروائي "عز الدين جلاوجي" أنموذجا

أ. لوت زينب د. عبد القادر مزاري
جامعة مستغانم

ملخص المقال باللغة العربية :

أن لغة الخطاب السردي، وتشكل محتوياته من خلال الأحداث و تشكيلها في وحدات خطابية تؤسس الجانب الفني، والوعي الوجودي القائم بين الحس الذي يرتقي له السارد فنيا و الرؤية العميقة للمؤثرات الجمالية في بلاغة اللغة، و التراكيب المعززة لسير المعاني مع الألفاظ وتشكيل تفاصيل الصورة الفنية في السرد.

ملخص المقال باللغة الفرنسية :

le langage du discours narratif et former son contenu à travers les événements et les unités formées établissent rhétoriquement le plan technique, et la conscience de l'existentiel entre le sens qui se lèvent pour lui techniquement le narrateur et la vision profonde des influences esthétiques dans l'éloquence du langage, et les compositions améliorées fonctionnement des significations des mots et la formation des détails de l'image technique dans le récit.

الكلمات المفتاحية: الشعرية؛ التفاصيل؛ السرد؛ عز الدين جلاوجي؛ الفن التشكيلي؛ الخطاب؛ الرواية؛ التواصل؛ الجسد، الحس.

المقال :

تتخمر الصورة في جسد النص، وتنبض لترسم الخامات الخطابية في لغة التخاطب ومسالك التواصل بين تصوير العالم الحسي في رواية "حائط المبكى "لمؤلفها "د.عز الدين جلاوجي "، تنبهر الأضواء حين تنصهر في أزمنة من الماضي والحاضر والقريب من الحاضر أيضا كأنها مسافة واحدة تَغمُر القارئ بشحنة من القصدية التي تختبئ خلف نبوءات تمتد في رحلة بحث عن المخبوء، ويومض كل مرة المحقق في مسيرة فنان يهوى الرسم فيتشبع من ثقافات الرسامين ومن بنية من التواليف العالقة في تأصيل جذور الجمالية، وتصوير عمق نفسي ودوافع تكوين لشخصية محورية الرواية المتجسدة في الرسام كنموذج لهالة من التصورات،تستأثر مقاربة لفكر ميشال فوكو Michel Foucault المتحدث في فلسفته عن الكائن من داخل التمثيل :"على الرغم من الجانب الداخلي الذي حكم الكائن ومنه قلبيا الإنسان إلا أن تشكله كان من الخارج تضمنه الداخلي كان – في اللامفكرة فيه (اللاوعي) كان في صمت اللغة (..)فكان من الضروري تحرير الكلمات من المضامين الصامتة التي ترتهنها "([1]) مثبتا بقناعات تتجه نحو التحولات الخطابية في زمن التخاطب التخيلي في الحوارية الذاتية بين الرؤية البصرية للفعل الماضوي، والحاضر المحايد الذي تتصارع فيه النوايا الفكرية وتتمازج فيه المشاهد التصويرية "فالصورة تتولد حدسيا مع الشعور أو الفكرة "([2])، يعيدنا دائما إلى الفكرة الأولى وهي البحث عن شيء مفقود وحقيقة غائبة في ذات البطل كأنه يعيد اكتشاف معالمه عبر جسر اللغة وتخطي العادي للانزياح الجمالي والقصد التجميلي لكنها تلبس كل مرة نوتة الكشف عن أسرار يحولها كل مرة لأعمق وأرفع من ما هو جائز وما يجوز تفنيده في لحظات .

يصور الروائي " عز الدين جلاوجي " حالة وجود، وينتقل النص إلى غاية وجودية انتقالا تواجديا بين التشكيل وإحصاء منافذ الرؤية ، في رواية " حائط المبكى " تنتشر التحولات الخطابية ارتحالا بالأزمنة والأمكنة،وتركيبا لشخصيات تتعدد ولكنها في تجاويف الصورة مرئية تثير الحدس المرآوي وتمنح تفاصيل تعاقبية تمنح نوتة ترسم صورا إيقاعية تحرك جلبة الحس، وإثارة الحدس في المتغير بين ذاكرة الإنسانية والخيال الناطق في إنسانيته، والتخيل لا يعدو ممسكا للأشياء بقدر ما يمثل نفاذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتنفيذه لسوسيولوجيا إبداعية تختزن صورة من التفشي في ظواهر تتسع للحلم، وتضخ جمالية، "فالنص في حيث ما يمثل في مألوف العادة، عجينة كريمة طيعة، سمحة لا يكون له أي دخل حاسم في كل الأطوار، في تكييف التحليل المتناول به، أو فيه وإنما القراءة التي تمارس عليه هي التي ترتفع به أو تسف، بناء على طبيعة الأدوات التي تتسلح بها المستويات الفنية والتقنية التي تسخرها أثناء القراءة "([3])، يتسع مد الأفكار في صناعة محاولات جديدة وبناءات تتفوق عن أشكال سابقة " عز الدين جلاوجي من مكنته اللغة الراقية وسعة الخيال المنفلت عن العادي لاقتدار نص يشتمل الفن بمقاييسه، ويشمل الخبرة بأسنة من الحنكة السردية بين الأزمنة والشخصيات و تبئير الخطاب والتخاطب في حركة تشكيلية تعج بالثقافات العالمية مما جعل رقي المنتج الروائي، يحيل إلى ناتج القراءة وإنتاج براعة الذوق .

– جدارية "حائط المبكى ":

تنهض الفعالية النصية كعنوان لرواية "حائط المبكى " ليرسم عليه دائرة تجارب تعبيرية، تشرف في انفعالات نفسية تروض حينا وأخرى تسكن في وتيرة من السكون الملفت والحديث المنفلت :

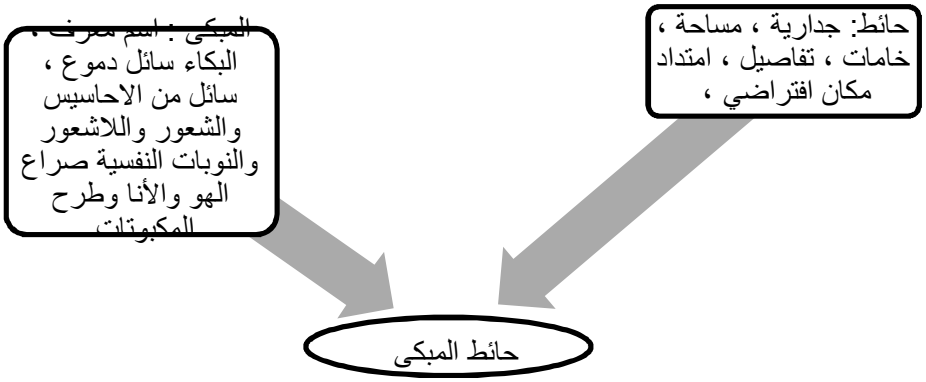

هناك استكمال بين اللفظين فالحائط مكان لتعليق ما يمتع نظر الإنسان ، ولكن ما يهم المؤلف"عز الدين جلاوجي "هي ترك مساحة كافية ليرسم بلغة استثنائية هذه المتاهة من النقائض والأوجاع النفسية للفنان وهو يعيش مع الزمن سيرورة من التهميش بين السرد الماضوي والحاضر ثم الراهن فيعلق في مشجب العتبة تناقضا يُمتع به القارئ بتناقضه المحنك والملفت وهذا ما تجوب به البلاغة عند أهل العلم والمعاني " أن تبلغ الغاية إذا انتهيت اليها وبلّغتها غيري "([4]) والتبليغ بمعنى تشفير الكلم لإنهاء كشوف المعنى وانكشاف الدهشة ولذة المكاشفة،و في كتابات المؤلف نفس المؤثرات الارتدادية في توظيف تضاد متجانس عقلاني، لكنه يورط القارئ ضمنيا في حالة تريث لا تنتهي حتى ينفك حجاب المقروء ومنها روايات سابقة "رأس المحنة " سنة 2004م في طبعته الثانية،و "الفراشات والغيلان "2006م، "سراديق الحلم والفجيعة " 2006م،" العشق المقدنس "2014 لتحل هذه الرواية مؤكدة أن من يكتب في وتر من الايهام والتفاوت يترصد النُخبة من الكتاب، و لعل الفرز الإرادي للقيم الموضوعية التي أبرزت وجودها في خاتمة الرواية حين يخترق الواقع بالحلم، ويسترد خاصية البنى المتلاحقة غموضا وإبداعا يكتسب قابلية التأثير الدرامي، تتسع الصور الخيالية باتساع،خامات المعنى النابض الذي يرسم الأحداث ويصور المشاهد، محاولة استئناف حياة أخرى ترتقي على أبعاد الدلالة " فبقدر اتساع المعرفة،يتسع الأفق وتشف الروح، فتسهل عملية الكتابة "([5])ونمذجة عتبة إيحائية قابلة لحالات الحضور والغياب، ولانفصال والتمركز حول مشهد العمل المكتظ على سطح الغلاف المتدفق بالتعدد والتفرد .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- كرنولوجيا الخطاب المشترك ولغة الاشتراك الضمني:

يتعايش المؤلف معايشة كرنولوجيا chronologyتبدأ ا لرواية من شخصية مرهفة، تروي في خطاب فني هادئ في لغة تنتعل قامة من الحشرجة النوعية في ارتقاء تحولات الراوي البطل، والخطاب المشترك في تضمين ناتج من المعارف التي جعلت السرد يمتلك قيمة ابستيمولوجيةepistemology مما يعكس بلاغة الانتاج، وحدود تبليغ المنتج، وتثبيت ما نسيج النص في بالمقومات التحليلية العاملة على الانسجام والاتساق،والتبليغ الإرادي في وضع فطري يجعلنا نؤمن بقداسة الفن لدى الرسام البطل في الرواية، ويؤكد في نفس الوقت جهد المؤلف حين اغتنم التمثيل على محور الاستبدال والتركيب أهم ما قد يسهم في تحويلات الثابت (ثقافة الراوي)والمتغير (المعتقد الفكري لرسام– البطل–)للدلالة على قدرة الإيحاء في مقام من اللغة المطلقة بين فنية الكتابة وفن التخريج النصي :

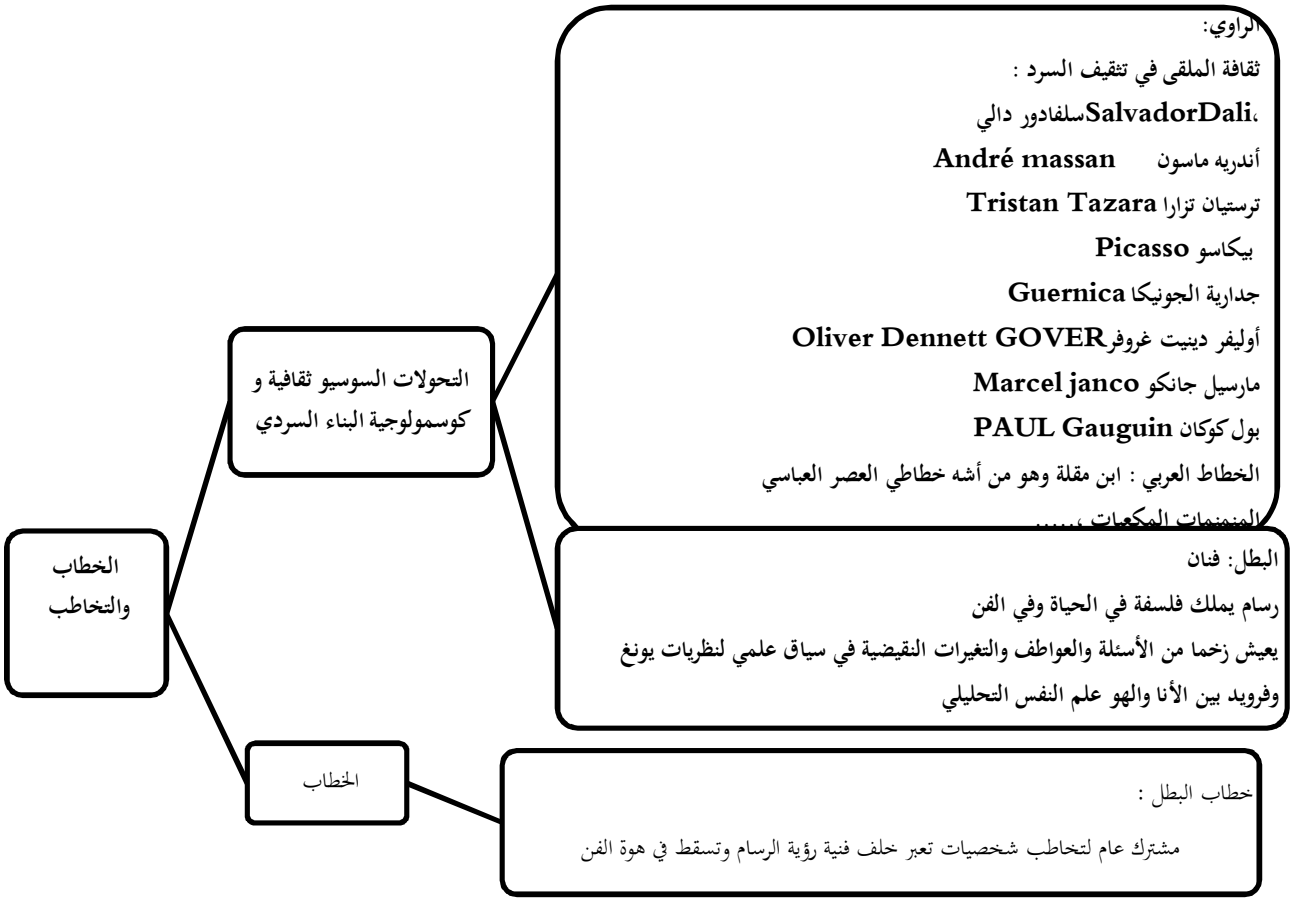

ينشطر الراوي عن المنافذ التي تؤدي لتناسخ بينه وبين البطل، ويتوارى حين يصبح الأمر انثناء على شخصية الرسام الذي تبدأ حياته في ثنايا تمكث خلف الماضي، وتعايش الحاضر مع شخصية " المراكشية" و" السمراء" يمنح كل منهما صفات تتسع بين استقامة مباشرة للأحداث ومفارقة لمقاسمة المشترك في ماضي الشخصيات :

الرسام :هو الابن المدلل سابقا لوالده العسكري "برز أمامي بعنجهيته وغطرسته رغم احتقاري له دوما "([6]) وقد تعود والده على الاختلاء بطقوسه في اللهو في منزل بين الخمرة والنساء " صارم الملامح لا يكاد يحدث أحد"([7])يخالجه شعور الغرابة والجنون الذي يكتسي حياة والده لكن بعد موت الأب، عبر بذات الأبعاد عن نفسه وكأنه يمارس تلك الطقوس لكن في فن الرسم ورؤية الحياة بفنية اللوحات والتفاصيل .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدة البطل (الرسام): هي امرأة ترضى بكل ما يقدم لها تتعود على تصرفات زوجها العسكري، وترضخ لحزن فقدانها الابنة، كما أنها لا تنفعل بعنجهية وقسوة المعاملة وقد تعودت منطوية في ظروف حياتها وما تقاسمه لها الأقدار لأنها ما يساوي حقيقة المرأة حين يعود بنا إلى حياتها حين فرض عليها الزواج من عسكري في رتبة عالية لتأتمن على حياتها المادية والمعيشية في ظروف قاهرة تنتهي بنواحها على زوجها "كمال"في حقيقة موته الغامض .

السمراء: هي فنانة لها مبادئ في الحياة والفن تميل إلى التراث العربي لكن ما في حمولتها أجواء من التعاسة المقيدة بزمن خلف بعده صورتها وهي طالبة تناقش دون حضور والدها لانشغالاته الطبية، بعدما ارتقى في مصاف "كان أبوها طبيبا عاما....ظلت تشحنه بطاقة التعالي والكبرياء ..رغم كل هذا التحول الجذري في حياة والدها والذي أنساه حتى والديه وأسرته التي تركها خلفه في أحد أحياء تلمسان "([8]) وقد اختارت الأم السفر إلى الخراج والزواج تاركة مقاييس التعاسة والبؤس والإحساس باليتم يتشبث في روح " سمراء"

وهي الملامح السائدة لشخصيات تعيش زمنين من التلاقي النفسي يكمن سلم الارتقاء النفسي للشخصيات وتغيرات الواردة في الانفعالات، يحدد لنا التلقي ميكانزمات تعالج هذا الجانب المستغل بين علم النفس السيكولوجي الاكلينيكي والمدارس الفنية التي يبسط روحها بين الحوار المترف بمزايا القدرة، ومزية التقدير حيث يمكن للقارئ الاستلقاء الفكري دون الخروج عن النموذج الشخصية المرسومة بالأدوات المعرفية التوثيقية " فالصورة هي نتاج الوعي الذي يستجمع جميع عناصرها "([9])لاكتساء الفطرة في الحركة واتخاذ القرار وكأنه يجهز عربة تجرها خيول متمرسة في غيهب خيالي ووعي استقرائي للبلوغ نحو معادلات ترصد مايلي :

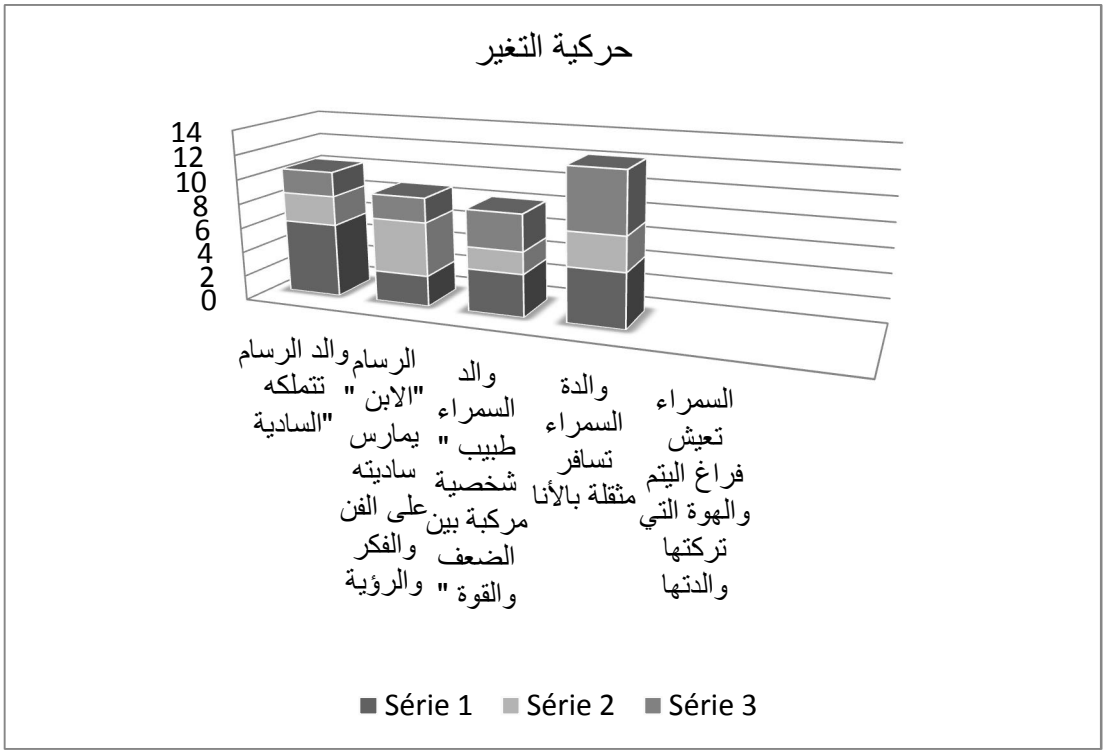

تتضاعف تجربة الأداء الكتابي حين يستكمل الفنان استمرارية الحركة في مساحة الحكي التي تؤول بينه وبين حقائق داخلية تراودها الذات، فتورث بداخل جينات النص عبوة من اللاشعور الكتابي حيث نجد المؤلف يستنطق في جملة استبدالية بين قامة تعلو قامة البطل ذاته حين ذكر تجربته في استقدام ما يحيله من مواقف نحو الفن حيث يعرفه : " مدرسة مترعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتجارب،مزهرة بالنماذج،ستلهمني عشرات اللوحات التي لن أحلم بها،ولا روح للفن،إلا تجربته بل ما المانع أن أسجل قصصا وروايات ؟وراء كل مسجون حكاية يمكن ان يرتقي بها الفن قولا بالريشة ورسما بالكلمات وقد امتلكت الأولى فلا مانع من أن أخوض الثانية،وقد صقلت لغتي بقراءاتي العميقة في النصوص التراثية شعرا ونثرا"([10])تتعلق الإشارة أن الغموض والسحر والالتماس الجمالي لروح النص هي أعمق وأكثف حين تلازم مزدوجا نصيا بين تحولات الذات مع أنا البطل، وحركة الشعور ورسوخ معاني الحياتين

كمعنى فني جائر نحو الجمال .

- حركة المعنى والمعنى المتحرك في صورة الخطابات:

يمكن الاستثناء في تعديل اللغة لصورة دون أخرى وفي إتمام لوحات متعاقبة في مدة تستنفد الآليات في كنه الرؤية البصرية " هناك تحولات تقع بفعل الموهبة الشخصية للرواة ونوع الجمهور ومدى استعداد الجماعة لتقبل تجديدات روائية تحتمل كل رواية إذن وجود عناصر قديمة وأخرى حديثة (...)في التعبير النصي يتحقق التغير بطريقتين :

إما أن تكون العناصر المتغيرة لنفس الحكاية متعادلة، أي قابلة للاستبدال فلا يصيب التحول معنى القصة إلا سطحيا (...)- أو أن العناصر المتغيرة تبين عن معاني مختلفة في هذه الحالة – نفس الحدث يتم توجيهه نحو سبل عديدة قد تكون مختلفة "([11]) حيث يهندس المؤلف في "حائط المبكى "جدارية إنسانية تراجيدية تمثل معاناة تقمع أفق الفنان وتسير إلى مراحل التحول حين تكتسي الحياة المادية قهرية التجاوز النفعي لشعور الفنان وحاجاته للجمال، ومبادئه في مسايرة رغباته الفنية، وروحه كأن تكرار الماضي يحقق نزعة حكي بارزة النضوب:

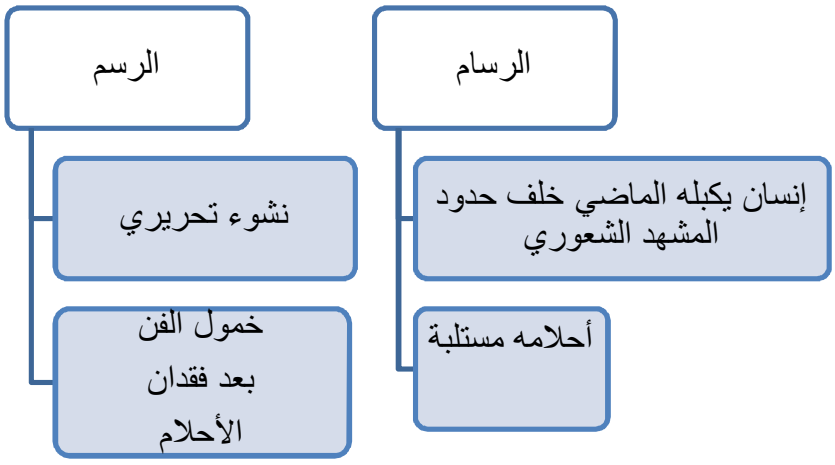

تمثل الكتابة عند مؤلفها "عز الدين جلاوجي "يوتيوبيا Utopia كبديل لوصف نموذج يؤطر صبغة تختلف، وتخالف المعتاد، فليس هدف الفنان دوما ابراز قدرة لغوية بقدر الخروج بقدر من الإختلاف بآلية جديدة تقدر حاجتنا للإنتماء " فلا نبالغ عندما نصرح أن الفن هو فعل الانفصال بالذات الإنسانية عن باقي عناصر الحياة والطبيعة،لأنه فعل إعادة التشكيل، وتجريد الخلق،والقفز على نسيج الرتابة القاتلة إلى توقيع جديد،يفصل بين حركة الطبيعة،وطبيعة الطبيعة،وبين حركة الفعل الإبداعي،وطبيعته باعتباره إعادة إنشاء وإعادة خلق وصياغة جمالية للكائن أو الشيء أو الظاهرة،أو الفكرة "([12]) فحضور الصورة ليس إمارة لغوية، بل تنفرد بقراءة دائرية المحيط والذات والآخر و ما تفرزه المخيلة من تنازع في المعنى حيث نجد ما يسقط على مرأى البصر، ويحقق الانتماء لها " كل شيء يحضر في اللوحة دفعة واحدة الإنسان والحيوان،الطبيعة والأشياء الحياة والموت،اللذة والألم والتعاسة والسعادة والخير والشر،كل الألوان تظهر بفطرية مدهشة بوحشانية تلقائية تعبر عن حرارة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانفعال "([13]) في جدلية العمل الابداعي،منولوجا بين الحديث الصمت، بين المغلق والمنفتح في تدافع الرموز،وتواثبها، في احلالها وضمورها" توافر المجاز الذهني، والمجاز الذي يعبر عن المجرد بالمحسوس"([14]) يكتشف العالم الامبريقي لنواة النص وكيفية تنوع وتفرد مهيمنات عناصره، في طريقة تكفي لإصدار، وبرمجة خواصه بالحس التجريبي،بأكثر قدر للقابلية الفريدة.

تتسع النظرة العلمية للنص الأدبي بوصفه بنية للخطاب الميتا لساني « metalinguistique »في وصفه رسالة لغوية،تؤدي وظائف مختلفة،وفي كُلِيتها مجموعة أنساق دلالية يُشرِعُها الوعي الدءوب على تنظيم الاشارات المنضدة للمعنى،ومن الأجناس النصية الأكثر تجانسا بالفكر المدبر في أعلى مستويات الأداء،والنزوح إلى الرموز والالتفات الى الغموض والتَّكون "الرواية المعاصرة"بمؤولاته القديمة و الحداثية حيث يفتح مجرى "التخييل فزادها معنى فوق المعنى المراد توصيله ما أدى إلى التعجب والإلذاذ"([15])تواشج النص السردي " حائط المبكى " اتساعا الحضور الأوسع، والخلق الفني يتدبر في القوانين مرئية تواجده،ليوحي ويستوفي القدر الكافي في استنطاق بؤرة الأثر الفني مواشجة بهندسة لغوية تتفنن فيها مناهج البلاغة ورسوم التباينات الإستعارية، التي تقتضي بدورها القيمة الأثرية للحركات، لا توجها عرضيا لبنية الصوت وامتداده،ورنين القافية واتساعها،وقد استوفى الترتيب في مراتبها، وتنظيم جلوها في المعنى،وتجليها كأنظمة دالة متمركزة في صفاتها وحدود تفاصيلها داخل المعطى .

الهوامش:

---

[1] – رايس زواوي ، في فلسفة ميشال فوكو،دار الصفحات دمشق ، سوريا ، ط/1، 2014 ص.87

[2] – كلود عبيد، جماليات الصورة ، مؤسسة مجد بيروت لبنان،ط/1، 2010 ص.93

[3] – عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 1995 ، ص .20

[4] – عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، في البلاغة العربية دار النهضة العربية بيروت لبنان ، 1985م ص.8

[5] – عبد الله عشي ،أسئلة الشعرية ، منشورات الاختلاف ،ط\1، 2009م ، ص 85

[6] – عز الدين جلاوجي حائط المبكى ، دار المنتهى، ط/1، 2015 م، ص،24

[7] – عز الدين جلاوجي حائط المبكى ،ص.29

[8] – عز الدين جلاوجي ، حائط المبكى ،ص.67،68

[9] – ناظم عودة، جمالبات الصورة ، من الميثولوجيا إلى الحداثة ، التنوير ، بيروت لبنان ،ط/1، 2013م ،ص.37

[10] – عز الدين جلاوجي ، حائط المبكى ،دار المنتهى ،ط/1 ،2015م ،ص.80

[11] – عبد الحميد بورايو ، مجموعة من الأساتذة ،الكشف عن المعنى في النص السردي ، دار السبيل ، الجزائر ،ط/1، 2009م ،ص .48

[12] – كلود عبيد ، جمالية الصورة في جدلية العلاقة بين الفن التشكيلي والشعر،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان ، ،ط/1 ،2010م ص.9

[13] – عز الدين جلاوجي حائط المبكى .ص.61

[14] – إبراهيم الخليل ،في نظرية الأدب وعلم النص بحوث وقراءات ،منشورات الاختلاف ،ط الأولى 2010 م، ص49

[15] – عمر اوكان ، اللغة والخطاب ، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر ، ط/1، 2011م ص.195

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com